**قسم الفلسفة- كلية العلومَ الإنسانية والاجتماعية- جامعة 08 ماي 1945 قالمة.**

**الجزء 2 أستاذ المادة: رابح مراجي**

**فيثاغورس وفلسفته**

**(572-997)ق م**

يظهر فكر جديد مع الفيلسوف اليوناني فيثاغورس، يتسم بمعالم صوفية بحث،ويمتاز بانسجام تام في المذهب مع تحرير في الاتجاهات الفردية عن علاقاتها الخارجية، مصحوبا بمحاولة ربط كيانها بعناصر الفرد الباطنية العميقة.

ونلاحظ في فلسفته، وفلسفة اليونان عموما، أن الفلسفة انتقلت من الأيونية نحو الغرب وازدهرت هذه الفلسفة مع فيثاغورس وأتباعه في جنوب ايطاليا، والتي كانت تسمى أو يطلق عليها بلاد اليونان الكبرى.

ولعل انتقال الفلسفة إلي جنوب ايطاليا بَرًا مما هي موطنها مالطية، يعود إلي عدة أسباب منها:

* العوامل السياسية

1. غزوات الفرس متكررة لغزوات الفرس من حين لأخر

* اشتد الصراع الداخلي بين مجموع طبقات المجتمع اليوناني.

وهذه الأسباب كلها تعود للطاغية بوليقراطس الذي ضيق الخناق على كبار التجار والملاك.

1. وفي المقابل نجد في مدينة ساموس-مدينة فيثاغورس-انتصرت سياسة الديمقراطية ولما كان فيثاغورس أكثر اتصالا بها تبين الطبقتين فقد مر هاربا إلي مدينة كروتونا بجنوب ايطاليا، وفي هذا المكان استطاع أن يكون مدرسة، ومنها نشر آراءه الفلسفية والسياسية بين أتباعه الذين انتشروا في هذه المناطق الزراعية التي كانت أكثر ترحابا بنزعاتهم الروحية المثالية.

ولما ضاقت المعيشة في هذه المدينة" كروتونا" أَويَ أشْرَافٌ" سيبارس" بعد أن ثارت عليهم مدينتهم، ولكنه جلب في نفسه غضب أهل كروتونا برعايته لحزب الارستقراطية، وتسبب كيلون KYLON في إحراق مدرسته وجميع أعضائها عند اجتماعهم في منزل احدهم هو" ميلو" البطل الرياضي، ولم ينج من الحريق سوى اثنين: ارغيوس، لسيس، أما فيثاغورس فانه يقال عنه انه كان قد توفي في مدينة ميثابورنتوم، كما يقال أيضا أن الذي احرق منزل ميلو كان شابا حانقا على فيثاغورس، لأنه لم يقبله تلميذا له، وهرب فيثاغورس مع بعض تلاميذه ولما اعترضه حقل من الفول رفض أن يطأه بقدمه لان هذا محرم في مدرسته، فأدركه الأعداء وقتلوه.

**ب- ما هي شخصيته؟**

شخصيته غامضة غموض فلسفته، ورغم ذلك يمكن أن نذكر بعض من هذه الشخصية:

* فهو مصلحا دينيا.
* صاحب فرقة من الأتباع تجمعهم عقيدة دينية واحدة، واتجاه فلسفي واحد.
* كما يذكر عنه، أنه ولد سنة 570 ق م، وعاش مائة عام، وثمانين عاما.
* كان في شبابه محبا للمعرفة والحكمة فترك بلاده وجاب بلاد البرابرة بحثا عن أسرار الآلهة.
* ومن الأساطير التي تروى عنه كان بهي الطلعة وله فخذ من الذهب.
* وان نهر نسوس NESSOS حيا إذ كان يَعْبٌرٌ.
* وان زار هادس(العالم السفلي)ورجع منه كما فعل اورفيوس نبي الاورفية، وقد شاهد في العالم"نفس" هوميروس وهوزيود تعذبان فيه عذابا أليما عقابا لهما على ما كانا يرويانه عن الآلهة.
* كما اعتقد في تناسخ النفوس، وفي إمكانية حلولها في أي كائن حي.
* وكان معاصره اكسينوفان XENOPHANES يسخر من هذه النظرية، ويقول انه رأي فيثاغورس يمنع احد الناس من ضرب كلبه، إذ تبين من نباح الكلب صوت احد أصدقائه.
* كما أن فيثاغورس اعتقد انه كائن مميز من بقية البشر، وذلك من خلال ما كان يقوله:"هناك بشر والهة وكائنات أخرى وسط بينها مثل فيثاغورس".
* وكان يشبه الناس بجمهور الألعاب الرياضية:
* بعضهم يحضر ليلعب.
* بعضهم يحضر للتجارة والربح.
* والبعض الأخر يكتفون بالنظر فقط، وهؤلاء هم الحكماء.
* أما من حيث تلاميذه أو أتباعه، فان الدارسين لم يقطعوا في عددهم، والسبب في ذلك يعود إلي النزعة السرية التي كانوا يحيطون أنفسهم بها فلم يكن يسمح لأحد أن ينسب لنفسه نظرية معينة أو يذكر اسم فيثاغورس...فكانوا يشيرون إليه بقولهم "المعلم"أو هو"قال" وكانوا يعيشون.
* كانوا يعيشون في حياة مشتركة وكان فيثاغورس ينتقيهم ويختار أحسنهم"خلقا"،"منبتا"،"جدية في التعليم"،" ويضلون يستمعون للمدرس، وسمعيون سماعين، ولا يسمح لهم برؤية فيثاغورس إلا بعد خميس سنوات، ويقال أن عددهم قد بلغ الثلاثمائة 300".

إضافة إلي ذلك نري شخصية فيثاغورس تمتد كذلك إلي:

* السرية سمة مرتبة على طابع فلسفتهم الديني الصوفي،ذلك لان معتقداتهم الدينية لم تكن تتخلص في مجرد بعض الأفكار المنطقية المحددة، وإنما كانت تصدر عن تجربة باطنية أساسها: شعورهم الجماعي بالقوة الإلهية السارية في الوجود والحياة الواحدة التي تصل جميع الكائنات ببعضها.
* ونتيجة لذلك، فقد عدت الفيثاغورية حركة إصلاح وتجديد في العقيدة الاورفية التي كانت بدورها حركة إصلاح وتجديد في عبادة ديونيسوس السرية:
* فمن عبادة ديونيسوس احتفظت الفيثاغورية بمبدأ استمرار الحياة في دورات يتعاقب فيها الموت والحياة.
* ومن الاورفية أخذت فكرة المصدر الإلهي للنفس وخلودها بعد الموت.
* وفكرة خطيئتها التي بسببها سقطت من السماء إلي الأرض وسجنت في الجسم الذي ما تنفك تحاول باستمرار الخلاص منه بواسطة الزهد وطقوس الطهارة المختلفة.

كما نري أن هناك اختلافات بينهما مثل:

* اختلفت الفيثاغورية عن الاورفية حين اخترت "ابولون" الأولمبي إلهًا بدلا من ديونيسوس اله الاورفية.
* كما اتخذت من الفلسفة والتأمل الفكري وسيلة للتطهر والخلاص.

ورغم هذه الصعوبات التي عاشتها فيثاغورية، فان أفكارها وآراؤها الفلسفية جلبت الكثير من الطلبة والفلاسفة،حيث انتشرت في أنحاء العالم اليوناني واستمرت تعاليمهم نشطة، خاصة في مدن مثل: ريخيوم، ارخيبوس.

* كما نجد فيلولاوس-في بلاد اليونان-أسس مركزا للفلسفة في مدينة طيبة، وهو من الجيل الثاني من الفلسفة الفيثاغورية وعليه تتلمذ سمياس، سيبس، اللذان يذكرهما افلاطون في محاورة فيدون.
* ومن تلاميذه أيضا اوريتوس الذي أسس مركزا لهذه الفلسفة في فليبونتس .
* استمرت الفلسفة الفيثاغورية إلي أربعة قرون بعد الميلاد مع الفيثاغوريين المحدثين الذين اختلط تاريخهم بالأفلاطونيين المحدثين.

**ج- قواعد المدرسة الفيثاغورية:**

1. أن تمتنع عن أكل الفول
2. ألا تلتقط ما قد سقط
3. ألا تلمس ديكا ابيضا
4. ألا تكسر الخبز
5. ألا تخطو من فول حاجز
6. ألا تحرك النار بالحديد
7. ألا تنزع الزهر من الإكليل
8. إلا تأكل من رغيف كامل
9. ألا تجلس على مكيال
10. ألا تأكل قلبا
11. ألا تمشي في الطرق العامة
12. ألا تسمح للعصافير أن تبني أعشاشها في دارك
13. لا تنظر إلي المرآة بجانب النور
14. إذا رفعت القدر عن النار فلا تترك أثرها على الرماد، بل امزج الرماد بعضه ببعض
15. إذا ما نهضت من فراشك فاطوِ الفراش وسو موضع جسدك منه.[[1]](#footnote-1)

أما فيما يتعلق بما تركه فيثاغورس في الفلسفة أو العلم، فان اغلب الباحثين يؤكدون على أن مخلفات فيثاغورس العلمية قد فقدت، وكل ما ينسب إلي فيثاغورس "من أشعار ذهبية، ومن كتب ثلاثة وهي المهذب، السياسي، الطبيعي"، ولعل عدم وجود هذه المؤلفات قد يرجع الأمر إلى احتراق المدرسة بمن فيها: الطلبة أو الميرودون، ومؤلفاتهم بالرغم من أن هذه المدرسة دأبت على السرية والكتمان، فكيف يترك فيثاغورس هذه الكتب دون حمايتها؟.

ولقد ظهرت بعض الأفكار المتعلقة بالطلبة الذين تبنوا الفكر الفيثاغوري لإعجابهم بآرائه، فقد نسجوا أفكار وأراء في أستاذهم فيثاغورس إلي حد الأساطير، فقد قالوا عنه انه ابن ابولوا أو هرمس، كما رووا عنه من الخوارق كل عجيب غريب. لذلك الجمعية يرون عنها أشياء كثيرة منها:أنها كانت تحرم أكل اللحوم(الحيوان) وبعض النباتات، ويقال أن هذا التحريم لم يكن مطلقا.

ويقال عنه أن أصحاب المدرسة من الطلبة ومن المنتمين لأفكار هذه المدرسة، أنهم كانوا على سرية تامة، ويتعارف أفرادها بإشارات خاصة ويتعهدون بكتمان تعاليمها، الديني منها والعلمي، ومن يخالف هذه القواعد فانه يحاسب، حيث يقال أن احدهم افشي سرا وعلموا بالأمر فقاموا بقتله غرقا وهذا ما يؤكده أرسطو طاليس.

**د- فلسفتهم:**

إذا رجعنا إلى الماضي، وما ذكرناه فيما يتعلق بفيثاغورس، لقينا أن فيثاغورس يعد أول من أطلق اسم فلسفة، أو نطق بلفظ"فلسفة" وهذا واضح من خلال السؤال الذي يطرح عليه هيرودوث بقوله:لقد علمنا انك جبت مناطق العالم متفلسفا، فرد عليه فيثاغورس، أنا لست حكيما، فان الحكمة لا تضاف لغير الآلهة، وما أنا إلا فيلسوفا"أي محب الحكمة.

وقد اتسم بميله أو محبته للرياضيات والموسيقى، وبالتالي فانه جعل من هذين قوام فلسفته، واهم أثاره في هذا الموضوع أو الباب فانه برهن على أن قوة الأصوات تابعة لطول الموجات الصوتية، فالأنغام تقوم خصائصها بنسب عددية ويترجم عنها بالأرقام، فوضع الموسيقي علما بمعني الكلمة بإدخال الحساب عليها، وهذا يعني أن دراسة الفيثاغوريين للأعداد والأشكال والحركات والأصوات، وما بينهما من تقابل عجيب، وما لها من قوانين ثابتة، أدت لعقولهم إلى ما في العالم من نظام تناسب فرأوا أن هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء أو النار أو التراب، وقالوا أن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، ا وان الموجودات أعداد، وان العالم عدد ونغم، كما قالوا أيضا أن الأعداد نماذج تحاكيها الموجودات ودون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها إلا في الذهن، والقولان يرجعان إلي واحد مؤداه التوحيد بين عالم الموجودات وعالم الأعداد وقد ساعد على هذا التصور أنهم لم يكونوا يمثلون العدد مجموعا حسابيا، بل مقدارا وشكلا، ولم يكونوا يرمزون له بالأرقام، بل كانوا يصورونه بنقط على قدر ما فيه من احاد، ويرتبون هذه النقاط في شكل هندسي كالأتي:

مربع

1=. / 2= خط /3= / 4= /...وهم بهذا يكونون يصفون الأعداد بالأشكال فيقولون: الأعداد المثلثة والمربعة والمستطيلة، فخلطوا بين الحساب والهندسة، كما حولوا العدد أو الكمية المنفصلة إلي المقدار أو الكمية المتصلة.

إضافة إلي ذلك فان الفيثاغوريين لم يهتموا ولم يبدون رأيا للعم الطبيعي، بل يمكن القول أنهم اخذوا ذلك من انكسيمانس،فتصوروا العالم كائنا حيا-حيوان كبير- يستوعب بالتنفس خلاء لا متناهيا هو عبارة عن هواء غاية في اللطافة ضروري للفصل بين الأشياء ومنعها من أن تتصل فتكون شيئا واحدا".

وقالوا بعوالم كثيرة، وجعلوا الأشياء تحدث بالتكاثف والتخلخل، لا يتحول بعضها عللا بعض لان الأعداد نظام ثابت متجانس.

كما نجد أن المدرسة مالت إلي الربط بين الشكل من جهة والعدد من جهة أخرى، فأعطت للأعداد هيئات مماثلة:

فالواحد نقطة، والاثنان خط، الثلاثة مثلث، الأربعة مربع، وأعداد حسابية تعتبر أساسا للنظرية الخاصة بالأعداد في العصر الحاضر...ولم يكن غرض الفيثاغورية رياضيا فحسب، بل أضافت إلي الأعداد صفات أخلاقية واجتماعية فالعدد سبعة يمثل وحدة الوقت الكاملة، والعدد أربعة يمثل العدالة، والعدد 3 يمثل الزواج، ثم نعتوا العقل بالواحد، وأعطوا للأحادية المطلقة صفة الألوهية، وكان العدد عشرة قدسية واضحة لهم وهو مجموع الأعداد الأولية(1+2+3+4=10)

وتذكر لنا بعض المصادر أنهم كانوا يقسمون به باعتبار انه ممثل للكون العام، وهذه النظرة لقدسية العدد تظهر مبرراتها عند عكسها على عناصر الكون الأربعة حيث تستأثر هذه العناصر بكل مقومات الجدود عند الإغريق، وعند تغلب فكرة(الوحدة العددية) على هذا الموقف يعود الأمر بعد ضم الأعداد بعضها إلي بعض، أن العدد عشرة مصدر كل جوهر حادث بل أصله كما يحلوا للفيثاغوريين أن تقول.

\*كما نجد أن فيثاغورس ومدرسته تنسب إليهم عدة نظريات هندسية، بعضها يعود له وبعضها الأخر يرجع إلي عصر متأخر عنه، ومن هذه النظريات، النظرية الخاصة بالمثلثات قائمة الزوايا التي منطوقها أن: مجموع المربعين القائمين على الضلعين المجاورين للزوايا القائمة يساوي المربع القائم على الضلع الثالث، وهو وتر المثلث أي:(3)2 +(4)2 =(5)2 .

فهذه النظرية عادة تنسب إليه، غير أن هناك من يذهب إلي القول بان هذه النظرية تنسب إلي البابلية حيث وجدت لديهم النظرية مدونة رقم الطين، وفضل فيثاغورس هو البرهنة على النظرية، والبعض الأخر يقول أن هذه النظرية وضعها الفيثاغوريين-فاللوحة لوحة قديمة-الذين كانوا في العهد الثاني من عهود المدرسة الفيثاغورية ونقصد به عهد فيلولاوس، فعنده نجد هذه اللوحة كاملة، أما عند المدرسة القديمة فلا نجد إلا إشارات عابرة لبعض أنواع التناقض.

**موسيقي:**

أيا كان مما ذكرناه، فان المدرسة الفيثاغورية أضافت إلي مذهبها أفكار إلى طريقة في الموسيقي والفلك والطب، كانت تنهض كلا على قاعدة الانسجام(النغم)، حيث يقال أن فيثاغورس أول مكتشف للأوتار المنتظمة التي تتناسب أطوالها، فتحدث أصواتا مؤتلفة، أو بعبارة أخرى نقول انه المبتكر للسلم الموسيقي، بمعني أن اختلاف النغمة تابع لاختلاف طول الوتر، وقادة هذا الموقف إلي معرفة الوسط التوافقي وحدوده الثلاثة: بحيث تكون زيادة الأول عن الثاني بالنسبة إلي الأول، هي زيادة الثاني عن الثالث بالنسبة للثالث، معتمدا في موقفه هذا على التناسق الرياضي بالذات.

أما بالنسبة للفلك، والطبيعة قد ادعت المدرسة أن العالم حادث وليس قديما، ورتبته على هذه الصورة:

السماء الأولى:فالكواكب الخمسة، ثم الشمس والقمر والأرض المقابلة، وكلا تدور حول نار مركزية هي سبيت"زيوس" لانها الشكل ومجموعها عشرة(10) باعتبار كمالها وانتظامها، يبعد بعضها عن البعض الأخر مسافات متناسقة، تصدر عنها انغام عذبة موسيقية تسحر الالباب، وتتحرك حركة هادفة كما تتحرك عقارب الساعة سواء بسواء، أما عالم ما تحت فلك القمر فانه يخضع للكون والفساد وللتغير والاضمحلال، ويقظة الناس من جهته العليا فقط.

ولا شك أن هذه الاراء الفلكية الفيثاغورية يمثل طورا طبيعيا لنظريات انكسيماندريس على الرغم من أنها ذهبت في تفسيراتها ابعد مدى من السابقين، ففكرة كروية الأرض استكشاف فيثاغوري خالص، وهو ما يفترق به عن الفلسفة الأيونية وفي غير هذا فنظرته نحو العالم هي نظرتهم جملة وتفصيلا.

**الطب:**

امتازت المدرسة بتعاليم الطب، وكان اتجاههم في العلاج نفسيا من جهة وماديا من جهة أخرى، فاستعانوا بالموسيقي في الجانب الأول، وبالأعشاب والنباتات في الجانب الثاني، وغلبوا فكرة التناسب بين الأضداد في التعاليم بحيث عاد مبدأ الحياة الحار ملطفا بالبارد، فإذا اختلت النسبة بينهما كان المرض وكان المقصود عندهم بالبارد هو الهواء الخارجي الذي أشار إليه انكسيمانس، وكانت مدينة كروتون أشهر مراكز الجمعية في الطب، القيمون الحكيم، من تلاميذ مؤسس المدرسة، ومؤلف الرسالة المعروفة(في الطب)، وأول من حاول إجراء عملية جراحية في العين، وممن زعموا أن المخ هو مركز الإحساس وان هناك طريق أو منافذ بين هذا المركز وأعضاء الحس.

وفي النهاية نقول أن الفيثاغورية:

* تعددت جوانب معرفتها واستمرت أفكارها إلي غاية القرن الرابع الميلاد.
* كما أن الرياضيات الفيثاغورية هي المحماز الذي ولج إليه جل الفلاسفة الروحيون ملتمسين فيه سبيلهم اللاحب الذي ينتهي بهم نحو قاعدة التجريد التي هي اسمي قواعد المعرفة اليقينية في رأي القدماء.
* ولم يقتصر تأثير المدرسة على أولئك فحسب بل امتد إلي وبشكل جديد غاليليو وكبلر، والفيزياء الرياضية متمثلة بنيوتن وحتى العصر الحديث.

1. - نجدها عند راسل في الكتاب-تاريخ الفلسفة الغربية ج1/ص65-66 [↑](#footnote-ref-1)